

رياح التغيير في الجغرافيا السياسية الدولية

2018-12-23 د. عبيد الرحمن ثابت

كانت منطقة الشرق الأوسط والمغرب العربي على مدى التاريخ منطقة حيوية للعالم؛ ومحط أنظار القوى الامبراطورية في العالم القديم وحتى بعد اكتشاف الأمريكيتين؛ لم تفقد المنطقة موقعها الاستراتيجي المتصدر في الجغرافيا السياسية الدولية، ومع بدايات القرن العشرين زادت أهمية المنطقة بسبب الاكتشافات النفطية فيها خاصة في منطقة الخليج العربي، فأصبح الشرق الأوسط حبة الكرز في الجغرافيا السياسية الدولية ضمن صراعات الامبراطوريات القديمة والحديثة على مناطق النفوذ في العالم.

ورغم كل التحولات الدولية التي شهدتها العالم خلال العقود السبع الماضية لم يفقد الشرق الأوسط مكانته الاستراتيجية كأهم مناطق العالم استراتيجيا، ولكن وعلى ما يبدو فإن هذه المنطقة الاستراتيجية وإن كانت لن تفقد أهميتها فهي لن تحظى مستقبلا بنفس المكانة التي عهدتها خلال المئة عام الماضية بحكم انتقال مركز الصراع الامبراطوري الدولي إلى منطقة أخرى هي منطقة الشرق الأدنى التي بدأ التنين الصيني فيها بالكشف عن أنيابه الامبراطورية وبدأ فعليا بغرس مخالفه الطويلة فيها حيثما أمكن له ذلك، وأحد الأدلة على ذلك مشروع طريق الحرير البري والبحري الذي ستستثمر فيه الصين تريليونات الدولارات.

وهذا ما قد نسميه الاجتياح الصيني الناعم لمناطق النفوذ الدولية للقوى الامبراطورية الأخرى؛ ولكن تلك النعومة الظاهرية الخداعة تخفي خلفها قوة إمبراطورية عسكرية رادعة لكل من يفكر من الاقتراب لأي منطقة وضع فيها التنين الصيني مخالفه كميناء اجوادير الذي استأجرته من باكستان مؤخرا لمدة 43 عام قادمة؛ وهي حادثة دقت ناقوس الخطر في الغرب عامة وفي أرجاء مؤسسات صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة؛ فالصينيون لا يستعمروا في باكستان إنما يسيطروا النفوذ بسرعة وهدوء.

وهذا ما قد يفسر ما تقوم به الإدارة الأمريكية اليوم من ترتيب استراتيجي لنفوذها في منطقة

الشرق الأوسط عبر ما يعرف بصفقة القرن التي يراد لها إنهاء أي تناقض بين حلفاءها العرب وحليفاتها الاستراتيجية إسرائيل عبر حلف استراتيجي طويل الأمد؛ فهو توطئة لتثبيت نفوذها في الشرق الأوسط لتتفرغ لصراعها مع التين الصيني في الشرق الأدنى الذي سيكون مستقبلا حبة الكرز في الصراع الإمبراطوري بين الصين والغرب والروس.

ومن هذا المنطلق علينا فهم السياسة الامبراطورية الأمريكية مستقبلا وتفسير سياسة إدارة ترامب تجاه المنطقة والعالم؛ والتي تسعى إلى تثبيت النفوذ الأمريكي في مناطق نفوذها بدون كلفة اقتصادية مستخدما نفوذ القوة العسكرية الأمريكية في حماية الحلفاء كاستثمار اقتصادي داعم في مواجهة التين الاقتصادي الصيني الآخذ في السيطرة على الكعكة الاقتصادية الدولية، وكذلك في مواجهه الدب الروسي الذي قضم لتوه جزيرة القرم من أوروبا.

هذه السياسة تعنى ببساطة أن على الحلفاء دفع ثمن الحماية العسكرية ماليا وبشريا في مواجهة أي مخاطر محددة؛ فيما تتكفل الولايات المتحدة بتوفير التكنولوجيا العسكرية مدفوعة الثمن سلفا، وعلى ما يبدو أوروبا غير متحمسة للسياسة الأمريكية الجديدة في محاولة منها للاعتماد على النفس وكذلك تغيير قواعد التحالف الاستراتيجي التاريخي سالف الذكر؛ والذي استمر لأكثر من سبعة عقود وفيه يبدي حلفاء الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط استسلام تام للسياسة الأمريكية الجديدة عبر عقد صفقات تسليح بمئات المليارات وزيادة التعاون الإسرائيلي العربي الذي فاق التطبيع إلى مرحلة التحالف الاستراتيجي غير المعلن في انتظار الاعلان الرسمي عن صفقة القرن المنتظر؛ والتي من الواضح أن المسرح قد هبئ لها جيدا من وراء الستار؛ وأصبح الجميع في انتظار رفع الستار عنها لتتحول منطقة النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط إلى منطقة تحالف عربي إسرائيلي اقتصادي وعسكري.

وعليه لن تفقد الشرق الأوسط أهميتها الاستراتيجية في صراع الامبراطوريات بدخولها إلى منطقة السكون الأمريكية لصالح الشرق الأدنى الساخنة؛ ولكنها في المقابل لن تحظى بنفس الأهمية التاريخية السابقة في المرحلة القادمة، ولكن على الإدارة الأمريكية أن تدرك المحافظة على بقاء الشرق الأوسط في منطقة السكون الأمريكية سيكون مرهونا بعدالة التسوية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي والتي لم يظهر لها أي أثر إلى يومنا هذا.

* أستاذ علوم سياسية

Political2009@outlook.com

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية